

الأسرى والسبي بين اليهودية والنصرانية والإسلام "دراسة عقديّة"

الدكتور أبو بكر عبد المقصود محمد كامل
أستاذ العقيدة والأديان المشارك بقسم أصول الدين
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة نجران السعودية

ملخص البحث^١

يتناول هذا البحث موضوع الأسرى والسبي وأخلاقيات التعامل معهم بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وكيف أن اليهود الذين اعتمدوا على نصوص توراتية محرفة وتلمودية، وعلى الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار؛ لم يراعوا في الأسرى إلاّ ولا ذمة فأبادوهم وسفكوا دماءهم معتقدين وجوب ذلك شرعاً، وكذلك النصارى في أناجيلهم لم يلتفتوا إلى رسالة عيسى ﷺ السمحة ونصوص الإنجيل التي تحث على الرحمة والمحبة والتسامح؛ فسفكوا دماء أسرى الحروب التي خاضوها ولا زالوا، كالحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والحروب العالمية وما حدث في أفغانستان والعراق وغيرها، ومن خلال البحث يتجلى لنا موقف الإسلام- هذا الدين الخاتم والشريعة السمحة التي نزلت من عند الله تعالى كاملة غير منقوصة- وحرصه على حماية الأسرى والسبي في الشريعة الإسلامية وحقوقهم في المعاملة الحسنة، وحرمة تعذيبهم، وحقوقهم في الطعام والشراب والكساء، وفي المأوى والرعاية الصحية، ومحادثتهم والرد عليهم، واحترام شرفهم وسمعتهم والتواصل مع ذويهم، والحفاظ على وحدة أسرهم، وحقوقهم في ممارسة الشعائر الدينية، وحرمة قتل المسلم أسير غيره.

الكلمات المفتاحية: الأسرى- السبي- الرق- الحروب- اليهودية - النصرانية- الإسلام

Captives and captivity Between Judaism, Christianity and Islam "Nodal study"

This research deals with the issue of prisoners and captivity and the ethics of dealing with them between Judaism, Christianity and Islam, and how the Jews who relied on biblical and perverted texts and Talmudic, and on the belief that the Jews are God's chosen people; The Christians in their Gospels did not pay attention to the message of Jesus of forgiveness and the texts of the Gospel that urge mercy, love, and tolerance. It is through research that the position of Islam - this definitive religion and the tolerant Sharia that was revealed from God Almighty in full and incomplete - is revealed to us, and its desire to protect prisoners and captives in Islamic law and their rights to good treatment, the sanctity of their torture, their rights to food, drink and clothing, and to shelter and health care, And chatting and responding to them, respecting their honor and reputation, and communicating with their families, preserving the unity of their families, their rights to practice religious rites, and the prohibition of killing a Muslim prisoner of others.

key words:

Prisoners - captivity - slavery - Judaism - Christianity - Islam

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ ثم أما بعد:

فنظراً لقدّم الحرب واشتعالها بين بني البشر كثيراً، كان لا بدّ أن يصبح أحد الأطراف غالباً والآخر مغلوباً، وهذا الغالب يستولي على ما للمغلوب، بل وعلى المغلوب نفسه إن استطاع ذلك، وعلى زوجته

وأولاده أيضاً، وهو ما يُسمى بالأسر والسبي، وفي هذه الحالة يصبح الأسير فاقداً لحريته، يتبع أسرته، ولا يملك من أمر نفسه شيئاً؛ لذا يتوقف مدى العناية التي يحصل عليها الأسير على ضمير ودين وأخلاق أسرته، وقد تعددت وتوعدت أساليب التعامل مع الأسرى من ديانة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، وإن كان الذي يغلب على الجميع - قبل ظهور الإسلام - هو القسوة والبطش والظلم.

إشكالية البحث⁽¹⁾

يعتقد اليهود أنهم أرقى الشعوب، وأنهم يتميزون عن سائر الأجناس، وأنهم شعب الله المختار، كما يعتقدون أن تمييزهم هذا إنما هو نعمة من الرب قد وهبها لهم، وقد جاء في سفر التثنية من التوراة المحرّفة: "أَنْتُمْ أَوْلَادُ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ؛ لِأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ. إِيَّاكَ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ"⁽¹⁾، وانطلاقاً من هذه النظرة يعتقد اليهود أن الوسيلة المثلى لتحقيق وعد الرب لهم باسترقاق شعوب الأرض هي الحرب، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا أَوَقَوْا كَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَالَهَا اللَّهُ وَنَسَعْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: 64]، ومن هنا كانت حروب اليهود ضد غيرهم حروباً تدميرية، والهدف منها إبادة البشر أو استعبادهم وإذلالهم.

وهكذا كان اليهود يتعاملون مع أسراهم، مما ينشئ عن نفسية مملأها الحقد على الغير، واستبد بها حب الإفساد في الأرض، فكان هذا هو منهجها في التعامل مع أسرى الحرب.

ولم يختلف وضع النصرانية والدول العالمية كثيراً عن اليهودية في تعاملهم مع الأسرى؛ إذ كان مصير الأسير أن يُذبح أو يُقدّم قرابين للآلهة، ثم رُئيَ بعد ذلك الانتفاع بهم، فحلّ الاسترقاق محلّ القتل، وصار الأسرى يُستعبدون، ويتخذون للبيع والشراء!!، كما أساء بعض المنتسبين إلى الإسلام في العصر الحاضر- ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" مثلاً- فهم منهج الإسلام وتعامله مع الأسرى فأساءوا معاملتهم وقتلوهم أحياناً، أو قطعوا رؤوسهم أو أحرقوهم أحياناً أخرى، وشوهوا صورة الإسلام النقية الرائعة.

(1) سفر التثنية 7: 1-6.

وقد أدت هذه السياسة المجحفة من اليهود والنصارى والأمم السابقة مع الأسرى إلى استرقاق أعداد هائلة من البشر، كان منهم طاقات عقلية جبارة، ولكن للأسف ضيَّعت هذه الطاقات وبُذِّت تحت وطأة الأسر وذلة، حتى جاء الإسلام وشرَّع أحكاماً حرَّرها هذه الطاقات وكرَّمها وأعاد لها إنسانيتها المفقودة.

موضوع البحث وأهميته

يتناول البحث موضوع الأسرى وأخلاقيات التعامل معهم بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وكيف أن اليهودية التي اعتمدت على التوراة المحرفة، واعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار؛ لم يراعوا في الأسرى إلاّ ولا ذمة فأبادوهم وسفكوا دماءهم معتقدين وجوب ذلك شرعاً، اعتماداً على نصوص توراتية أو تلمودية، وكذلك النصارى في أنجيلهم لم يلتفتوا إلى رسالة عيسى عليه السلام السمحة ونصوص الإنجيل التي تحث على الرحمة والمحبة والتسامح، وتبدد هذا النص: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْاَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْاَآخَرَ" من خاطرهم وسلوكياتهم وحل محله: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِي سَلاَمًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِي سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْاِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا"، وكلا النصين للمسيح كما يزعمون.

منهجى فى البحث

وقد اعتمدت فى هذا البحث المنهج التحليلي القائم على إيراد وتحليل محتويات النصوص واستخراج المعنى منها، وإبرازه فى صورة مبسطة، وصياغتها بصيغة موضوعية، كما اتبعت المنهج المقارن محاولاً مقارنة نصوص الأديان الثلاثة فى هذا الموضوع، مرجحاً ما أراه راجحاً من خلال الأدلة والبراهين، ومبيناً سماحة الإسلام ورفقه بالأسرى والسبايا وحرصه على التخلص من الرق والاستعباد.

الدراسات السابقة

حظي هذا الموضوع بدراسات وأبحاث عديدة كأخلاقيات معاملة الأسرى بين اليهودية والإسلام، والمسيحية والعنف، والتعصب اليهودي والصليبي وغيرها، وأغلب هذه الكتابات تتناول المقارنة بين ديارتين أو البحث في ديانة واحدة، وقد حاولت في هذا البحث جمع الديانات الثلاثة وموقفها من الأسرى والسبي.

خطة البحث^١

ويشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:
المقدمة: وتشتمل على إشكالية البحث وموضوعه وأهميته ومنهجه والدراسات السابقة وخطة البحث.
التمهيد: ويشتمل على تعريف الأسرى والسبي في اللغة والاصطلاح وأسبابهما.
المبحث الأول: الأسرى والسبي في اليهودية.
المبحث الثاني: الأسرى والسبي في النصرانية.
المبحث الثالث: الأسرى والسبي والرق في الإسلام.

التمهيد:

أولاً: تعريف الأسرى في اللغة والاصطلاح:

الأسرى لغةً: الأسر في اللغة: هو الشّد، والعَصَب، والإمساك، والحبس، وهو مأخوذ من قول العرب: أسرتُ القَتَبَ، بمعنى شددته، ومنه الأسير لأنه يُشَدُّ بالقَدِّ، أي الإِسار، ثم كثر استعماله عند العرب في كل من أخذ قهراً؛ وإن لم يوثق، أو يُشَدَّ بقيد، كما تأتي هذه الكلمة (الأسر) بمعنى شدة الخلق، وتقويته^(١).

(١) لسان العرب - ابن منظور ج ٤، ص ١٩، ٢٠، القاموس المحيط - الفيروز آبادي ص ٣٠٩، ٣١٠، المصباح المنير - الفيومي ص ١٥.

جاء في المصباح المنير: "وَأَسْرَهُ اللَّهُ أَسْرًا خَلَقَهُ خَلْقًا حَسَنًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [سورة الإنسان: 28]، أي قَوَّينا خلقهم، ومنه أَسْرَةُ الرجل رهطه الذين يتقوى بهم⁽¹⁾.
والأسير: الأخير، والمُقَيَّد، والمسجون، تقول: رجل أسير، وامرأة أسير، لأنَّ (فعل) بمعنى (مفعول)؛ فيستوي فيه المذكر والمؤنث، والجمع أسرى، وأُسَارَى، وأُسَرَاءُ⁽²⁾.
قال أبو عمرو بن العلاء: "الأسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون، والأسارى هم الموثقون ربطاً"⁽³⁾.

تعريف الأسرى اصطلاحاً: يُعرّف الفقهاء المسلمون الأسرى بأنهم: الرِّجَالُ المقاتلون من الكفار إذا وَقَعُوا فِي قَبْضَةِ الْمُسْلِمِينَ أَحْيَاءً⁽⁴⁾.
ومن التعريف السابق، يمكن تحديد الفئات التي ينطبق عليها مصطلح (أسير حرب) في الفقه الإسلامي، وذلك على النحو التالي:

1- اشترط هذا التعريف في الرجال كونهم مقاتلين، والشرعية الإسلامية فرقت بين المقاتل وغير المقاتل؛ حيث إن الفقهاء يَبْنُوا أن المقاتل: هو من شارك في القتال بصورة مباشرة؛ كأن يشارك في الأعمال العسكرية القتالية، أو بصورة غير مباشرة؛ كالتمهيد، والرأي ونحوه؛ وعليه فالفلاحون، وأصحاب الصوامع، والطاعنون في السن، ونحوهم لا ينطبق عليهم وصف الأسرى، بل إن الإسلام نهى عن قتالهم، أو التعرض لهم⁽⁵⁾.

(1) مختار الصحاح للرازي ص 16، المصباح المنير - الفيومي ص 15، النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ص 38.

(2) لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 20، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 310، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج 8 ص 47.

(3) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج 8 ص 48.

(4) الأحكام السلطانية للهاوردي ص 167، أصول العلاقات الدولية عثمان ضمرية ج 2 ص 1207، معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعه جي وحامد قنبي ص 67.

(5) آثار الحرب لوهبة الزحيلي ص 494 وما بعدها، مقدمة في القانون الإنساني في الإسلام لزيد الزيد ص 49.

2- يشمل مصطلح الأسرى كل من وقع في يد المسلمين حياً من الكفار الحريين، وبأي صورة كان أسره، وعليه فيشمل فريقين:

أ- المقاتلين الكفار الذين يظفر بهم المسلمون أحياءً حال المعركة، أو بعدها ⁽¹⁾، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخِذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [سورة محمد: 4].

ب- الحربي الذي يدخل دار الإسلام دون عهدٍ أو أمان؛ كأن تلقيهم السفينة، أو يتيهوا فيدخلوا دار الإسلام خطأً، أو يؤخذوا بحيلة، أو على حين غفلة منهم ⁽²⁾.

ونلاحظ أيضاً أنَّ الفقهاء يطلقون هذا المصطلح على المرتدين، وعلى البغاة الخارجين على الإمام إذا ظفر بهم أحياءً، ويطلقونه أيضاً على المسلمين الذين يقعون في قبضة عدوهم ⁽³⁾، فقد عقد البخاري باباً في صحيحه بعنوان "فكك الأسير" ⁽⁴⁾، والمراد به الأسير المسلم، وهذا الإطلاق إنما هو من باب الاستعمال اللغوي للكلمة، وليس مقصوداً هنا؛ ذلك أن مصير هؤلاء وأحكامهم مختلفة عن الكفار الذين يقعون أسرى في أيدينا.

ثانياً: تعريف السبي في اللغة والاصطلاح:

جاء في المعجم الوسيط: السَّيُّ: المأسور يقال: قَوْمٌ سَبِيٌّ، والنساء؛ لَأَنَّهُنَّ يَسْبِينَ القلوب، أو لَأَنَّهُنَّ يَسْبِينَ، والجمع: سُبَيٌّ، والسَّيُّ: المأسور، والمأسورة، وهي سَبِيَّةٌ أَيْضاً، وفي قاموس الأفعال المتداولة: سَبَى يَسْبِي سَبِيًّا سَبَاهُ يَسْبِي سَبِيًّا: سَبَى الجيش مئة شخص من عدوه. أسر ⁽⁵⁾.

وفي لغة الفقهاء: السبي: بفتح أوله وسكون ثانيه، الجمع: نساء وصغار العدو الكافر المحارب يؤخذون في الحرب ⁽¹⁾.

(1) بدائع الصنائع الكاساني ج9 ص4341 وما بعدها، حاشية الدسوقي ج2 ص47، المغني - ابن قدامة ج13 ص31، 32.

(2) مجموع الفتاوى ابن تيمية ج28 ص355، السياسة الشرعية ابن تيمية ص124.

(3) أصول العلاقات الدولية عثمان ضمرية ج2 ص1208، الموسوعة الفقهية ج4 ص195.

(4) فتح الباري ابن حجر العسقلاني ج6 ص167.

(5) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج1، ص415، ط: 1379هـ/1960م، الأفعال المتداولة محمد الحيدري ص365، ط:

وفي مختار الصحاح: "(وَالسَّبْيُ) وَ(السَّبَاءُ) الْأَسْرُ، وَقَدْ (سَبَيْتُ) الْعَدُوَّ أَسْرَهُ وَبَابُهُ رَمَى، وَ(سِبَاءٌ) أَيْضًا بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ وَ(اسْتَبَيْتُهُ) مِثْلُهُ، وَ(السَّيَاءُ) النَّتَاجُ، وَوَرَدَ: "تِسْعَةُ أَعْشَاءَ الْبَرَكَةِ فِي التِّجَارَةِ وَعُشْرٌ فِي السَّيَاءِ"⁽²⁾. وفي موسوعة الفقه الإسلامي: الأسرى: هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء.

والسبي: هم نساء وصبيان الكفار إذا ظفر بهم المسلمون أحياء.⁽³⁾

أقسام الأسرى: أسرى الحرب من الكفار من جملة الغنائم، وهم على قسمين:

- 1- النساء والصبيان، وهؤلاء يُسَرَّقُونَ بمجرد السبي، ويُقَسَمُونَ مع الغنائم كما يُقَسَمُ المال.
- 2- الرجال المقاتلون، وهؤلاء يُخَيَّرُ فِيهِمُ الْإِمَامُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ: الْمَنِّ عَلَيْهِمْ أَوْ الْفِدَاءُ بِمَالٍ أَوْ بِأَسْرَى أَوْ قَتْلِهِمْ أَوْ اسْتِرْقَاقِهِمْ، وَيُخْتَارُ الْإِمَامُ الْأَصْلَحَ وَالْأَنْفَعُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَتَقْدِيرُ الْمَصْلُحَةِ يَتِمُّ بِحَسَبِ مَا يُرَى فِي الْأَسِيرِ مِنْ قُوَّةٍ بِأَسْهٍ وَشِدَّةٍ نَكَائِيَةٍ، أَوْ دُخُولِهِ لِلْإِسْلَامِ، أَوْ أَنَّهُ مَأْمُونٌ خِلَافَةً، أَوْ مَطَاعٌ فِي قَوْمِهِ، أَوْ حَاجَةٌ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَالِ أَوْ الْمَهْنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخَرَ فِي الْأَرْضِ مُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَحْتَمِلُهُمْ فَتَشْتُلُوا الْوَكَاظَ فِيمَا مَثَا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4]⁽⁴⁾

المبحث الأول: الأسرى والسبي في اليهودية.

المطلب الأول: القتل والإبادة والتحريق في العهد القديم

(1) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعه جي/حامد صادق قنبي ج1، ص240 ط/ 1405هـ/1985م

(2) مختار الصحاح للرازي ج1 ص326، وغريب الحديث لابن سلام مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند 1384هـ.

(3) موسوعة الفقه الإسلامي محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ج1 ص267، الناشر: بيت الأفكار الدولية الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.

(4) موسوعة الفقه الإسلامي لمحمد إبراهيم التويجري ج5 ص494.

وردت نصوص كثيرة في العهد القديم تتم عن نفسية ملؤها الكراهية والحقد والشر والبغضاء تجاه غير اليهود، وطفح أسفاره بمصطلحات الإحراق⁽¹⁾ - في سياق القتل - والاستئصال⁽²⁾، والإفناء، والإهلاك، والتحریم - بمعنى الإبادة والتقرب إلى الله -، والتحطيم، والصلب، والتعليق، والتدمير، والتقطيع، والسحق، والتمزيق، والذبح والدم، والجيف، والجثة والجثث، والتخريب في سياق القتل.

يذكر العهد القديم أن شريعة موسى ﷺ تقضي بأن يستأصل الإسرائيليون الأمم التي يغلبونها في الأرض المقدسة التي أعطوها فلا يُبقوا من أهلها صغيراً ولا كبيراً، وأن يُسبوا مَنْ غلبوهم في غير تلك الأرض، وللسبايا والعبيد والإماء من العبرانيين وغيرهم أحكام متفرقة في سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية، ومنها أنه شرع لهم تحرير العبراني دون الغريب، وكذلك يجب الرفق بالعبراني منهم دون غيره: "إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدَيَّ وَأَقُولُ: حَيُّ أَنَا إِلَى الْأَبَدِ. إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ، وَأَمْسَكْتُ بِالْقَضَاءِ يَدَيَّ، أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِي، وَأُجَازِي مُبْغِضِي. أُسَكِّرُ سِهَامِي بِدَمٍ، وَيَأْكُلُ سَيْفِي لَحْمًا. بِدَمِ الْقَتْلِ وَالسَّبَايَا، وَمِنْ رُؤُوسِ قَوَادِ الْعَدُوِّ"⁽³⁾، وفي السنن القويم في تفسير العهد القديم: "سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ: أي عزمتم على الانتقام، وَأَمْسَكْتُ بِالْقَضَاءِ يَدَيَّ... الخ أي قطعت بأن أُجري حكمي الخ، وَأُسَكِّرُ سِهَامِي بِدَمٍ هو دم القتل والسبايا ورؤوس قواد الأعداء كما يظهر من آخر الآية، يَأْكُلُ سَيْفِي لَحْمًا أي لحم القتل والسبايا الخ، ومعنى الآية أنه تعالى ينتقم من أعدائه انتقاماً شديداً كاملاً"⁽⁴⁾.

وفي سفر العدد: "وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُتَى حَيَّةٍ؟ إِنَّ هَؤُلَاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةَ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فُغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ

(1) سفر التثنية 13: 17-15، ويشوع 6: 24-21، و 11: 14-6، و 8: 29-18، وسفر إرميا 37: 8-10، و 43: 10-13، و 49: 2، وسفر القضاة 18: 26-27، و 20: 48.

(2) سفر الملوك الثاني 9: 6-9، وسفر حزقيال 25: 16-17، و 30: 13-17، والاصحاح الخامس والثلاثون كاملاً من نفس السفر.

(3) سفر التثنية 32: 40-42.

(4) السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش ج3، ص245، (سفر التثنية) صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973م.

الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرَ اقْتُلُوهَا. لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ" (1).

وعن القتل والإبادة جاء في سفر صموئيل الأول: "فَلَا أَنْ أَذْهَبَ وَاضْرِبَ عَمَالِيْقَ، وَحَرَمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقْراً وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا" (2).

في هذا النص والذي قبله أمرٌ بقتل كل ذكر من الرجال وكذلك الأطفال والرضع وكل امرأة عرفت رجلاً، والبقر والغنم والجمال والحمير، والسؤال ما ذنب الأطفال والرضع والنساء والبقر والغنم والجمال والحمير لكي يُقتلوا ويُبادوا، ثم كيف تُعرف المرأة التي اضطجعت مع ذكر من التي لم تضطجع مع ذكر؟!

وعن معنى هذا النص في تفاسير العهد القديم: "وَإِذَا قِيلَ إِنَّ ذَبَائِحَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ قِسَاوَةٌ وَذَبْحُ الْحَيَوَانَاتِ وَحَرْقُ الْأُمْتَعَةِ إِتْلَافٌ. نَقُولُ أَوَّلًا إِنَّ الرَّبَّ هُوَ خَالِقُ الْكُلِّ وَهُمْ مِلْكُهُ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَرِيدُ بِخَلْقِهِ، وَثَانِيًا إِنَّ مِنْ هَذَا التَّحْرِيمِ فَوَائِدَ رُوحِيَّةَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ وَلِشَعْبِ اللَّهِ فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْهَا إِنَّ الْخَطِيئَةَ نَجَسَةً وَمَكْرُوهَةً جَدًّا عِنْدَ اللَّهِ وَعَوَاقِبَهَا ثَقِيلَةً تَصِيبُ كَثِيرِينَ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ لِعِلَاقَتِهِمْ بِالْخَاطِئِ مِنْ حَيْثُ الْأُسْرَةُ وَالْقَبِيلَةُ، وَطَهَارَةُ السَّيْرَةِ وَمَخَافَةُ الرَّبِّ أَهَمُّ جَدًّا مِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ وَجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الزَّمْنِيَّةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ" (3). ومن نصوص الإبادة أيضاً: "وَأَمَّا عِبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنْ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عِبِيدًا وَإِمَاءً. وَأيضاً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوِطِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمُ الَّذِينَ عِنْدَكُمْ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لِأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعِيدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بَعْفٌ" (4).

والظاهر من هذه العبارة أنه لا يجوز عتق العبد الغريب عندهم، وأما العبراني فيعتق سنة اليوبيل (5) عندهم إلا إذا أحب هو أن يبقى رقيقاً، فعند ذلك تثقب أذنه ويبقى عبداً إلى الأبد، وأن لاستعباد

(1) سفر العدد: 31: 15-18.

(2) سفر صموئيل الأول: 15: 3.

(3) السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش ج3 ، ص342 (سفر صموئيل الأول)

(4) سفر اللاويين 15: 44-46.

(5) اليوبيل هو احتفال ديني كبير عند قدماء اليهود كل خمسين سنة، معجم اللغة العربية المعاصر.

العبراني عندهم ثلاثة أسباب: الفقر، والسرقة إذا لم يجد السارق قيمة المسروق، وبيع الوالد بنته لتكون سرية. فإذا تم للصهيونيين ما يريدون من امتلاك فلسطين وأقاموا شريعتهم فيها فإنهم يستأصلون أهلها ويستعبدون جميع من يقدر على استعباده من جيرانهم إلى الأبد.

المطلب الثاني: الأسر والسبي في العهد القديم

تذكر أسفار العهد القديم أن الأسر والسبي والرق كان موجودا في عهد الأنبياء السابقين ومنهم إبراهيم عليه السلام ومن بعده: "فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبَيَّ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّينَ، وَلِدَانِ يَتَيْتِهِ، ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ"⁽¹⁾.

كما أقر العهد القديم قتل الرجال وسبي النساء والأطفال وأعمال السلب والنهب والحرق والتخريب، فعلى سبيل المثال لا الحصر: "فَتَجَنَّدُوا عَلَى مَدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. وَمَلُوكُ مَدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ: أُوَيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَاقِعَ. نَحْمَسَةُ مَلُوكِ مَدْيَانَ. وَبَلْعَامُ بْنُ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلَاكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مَدَنِيَّتِهِمْ بِمَسَاكِينِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَالْعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوَابَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنَ أَرِيحَا"⁽²⁾.

ولم يكتفِ العهد القديم بإقرار سبي النساء والأطفال، وإنما أمر بقتلهم وقتل الأبرياء علاوة على ما ذكر من قتل الرجال وأعمال السلب والنهب والحرق والتخريب والتمثيل بالجثث: "وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايَ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنَوْا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايَ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايَ. وَيَشُوعُ حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايَ. لَكِنْ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا

(1) سفر التكوين 14: 14.

(2) سفر العدد 31: 7-12.

إِسْرَائِيلَ لَأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ. وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَمَلِكُ عَايَ عَلَّقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةً حِجَارَةً عَظِيمَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ"⁽¹⁾.

ويذكر العهد القديم حرب داود مع الموآبيين وتغلبه عليهم وقد مدد أسراهم على الأرض وقاسهم بالحبل فقتل منهم ثلثين وأبقى الثلث، وصار الموآبيون عبيداً له يؤدون الجزية: "بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ، وَأَخَذَ دَاوُدُ زِمَامَ الْقَصَبَةِ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَضَرَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلٍ لِلْأَسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوآبِيُّونَ عِبِيداً لِدَاوُدَ يَقْدِمُونَ هَدَايَا"⁽²⁾.

ويذكر سفر القضاة بعض أعمال التنكيل بالأسرى. ففي حروب إسرائيل للكنعانيين، وكيف هزمهم: "فَهَرَبَ أَدُونِي بَارَقَ، فَتَبِعُوهُ وَأَمْسَكُوهُ وَقَطَعُوا أَبَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَقَالَ أَدُونِي بَارَقَ: سَبْعُونَ مَلِكًا مَقْطُوعَةً أَبَاهُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ كَانُوا يَلْتَقِطُونَ تَحْتَ مَائِدَتِي. كَمَا فَعَلْتُ كَذَلِكَ جَا زَانِي اللَّهِ"⁽³⁾.

والخلاصة أن العهد القديم أمر بأسر وقتل الرجال وسبي وقتل النساء والأطفال والأبرياء حتى وإن كانوا رضعا كما أمر أيضا بقتل الحيوانات في الحروب لاسيما البقر والغنم والجمال والحمير.

وهناك نموذج لقتل الأسرى في العصر الحديث عام 1967م في الحرب على مصر: "... وهناك مذابح بشعة جرت خلال حرب يونيو 1967م مع مصر، وأوضح أرييه يتسحاقي الأستاذ في جامعة بار إيلان في تل أبيب أن القوات الإسرائيلية أجهزت على ما يقرب من 900 جندي مصري بعد استسلامهم خلال هذه الحرب، وأكد في حديث للإذاعة أن أكبر مذبح جرت في منطقة العريش بشبه جزيرة سيناء حيث أجهزت وحدة خاصة على حوالي 300 جندي مصري أو فلسطيني من قوات جيش تحرير فلسطين، وكان يتسحاقي قد أدلى بهذه الأقوال بعد أيام من طلب مصر من إسرائيل التحقق من تقارير ذكرت أن قواتها

(1) سفر يشوع 2: 24-8.

(2) سفر صموئيل الثاني 8: 1-2.

(3) سفر القضاة 1: 6-7.

قتلت مئات الأسرى في حرب عام 1956م وقال يتسحاقي لراديو إسرائيل مثل هذه الأشياء تحدث في كل حرب، وقال يتسحاقي إنه أجرى بحثا بعد الحرب في موضوع قتل الأسرى لكن قاداته الأعلى لم يعيروا نتائج البحث أي اهتمام فيما وصفه بأنه مؤامرة صمت وقال يتسحاقي إنه قرر الكشف عن هذه المعلومات لأن الاهتمام تركّز على قتل 49 أسير مصري في حرب عام 1956، وقال: الامر الذي يغضبني هو أن الجميع صنعوا قضية من هذه الحالة بينما هم يعلمون أن هناك حالات عديدة مماثلة لها، ويُذكر أن إسرائيل لم توقع الاتفاقات الدولية ضد جرائم الحرب القابلة للتقادم، وقد اعترف الجنرال أرييه بيرو اليهودي الذي يتباهى فيه بأنه قتل برشاشه 49 جنديا مصريا أسيرا بعد أن أمرهم أن يستلقوا على وجوههم في صف واحد في تراب الصحراء، وبشهادة أربين إسحاقى أستاذ التاريخ اليهودى على قتل 900 أسير مصرى في حرب 1956 بعد أن ألقوا سلاحهم وهى الشهادة التى تؤكد أن كبار القادة اليهود كانوا على علم بهذه الجرائم فضلا عن جرائم بيع أعضاء الأسرى المصريين⁽¹⁾؛ إلى غير ذلك من جرائم اليهود ومذابحهم على مدار التاريخ.

المطلب الثالث: الجزية والاستعباد لغير الإسرائيليين في العهد القديم

أقر العهد القديم استعباد بني إسرائيل لهذه الشعوب الأخرى وأخذ الجزية منها في حالة استحيائها - أي تركها على قيد الحياة-، فنجد في هذا النص مثلا: "فَلَمْ يَطْرُدُوا الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي جَازَرَ. فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِ أَفْرَايِمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَكَانُوا عَبِيدًا تَحْتَ الْجِزْيَةِ"⁽²⁾، فَلَمْ يَطْرُدُوا انْخ كان الواجب أن

(1) مذابح الاسرى المصريين في حرب 1967م، جريمة اغتيال الأسرى المصريين وثيقة أدبية إسرائيلية لعبدالرازق سليمان ، وكّاب:قتل الأسرى المصريين دراسة للجرائم الإسرائيلية سيد عيسى، وكّاب قضية الأسرى المصريين على ضوء قواعد القانون الدولى الإنسانى رياض أبو العطا.

<http://group73historians.com/%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D8%AA->

(2) سفر يشوع 10:16.

يطردوهم لكنهم طمعوا في الجزية والتسخير ولها بلذاتهم وراحتهم ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة. ونقرأ أيضاً: "وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ، وَلَمْ يَطْرُدُوهُمْ طَرْدًا"⁽¹⁾.

لَمْ يَقْدِرْ بَنُو مَنَسَّى أَنْ يَمْلِكُوا هَذِهِ الْمُدُنَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا مَعَ اللَّهِ لَا لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَسَاعِدْهُمْ. فعدم قدرتهم في هذا كعدم قدرة إخوة يوسف على مسألتهم ليوسف أخيم، ومن أسباب عجزهم حب التواني والكسل والترقة وحب أخذ الجزية أو التسخير"⁽²⁾.

كما نقرأ أيضاً في سفر التثنية: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَاسْتَعْبُدْ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَخَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ فَضَرْبِ جَمِيعِ ذُكُورِهَا بِحِدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جَدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقُ مِنْهَا نَسْمَةً مَاءً، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَيِّينَ وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، لِكَيْ لَا يَعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمُ الَّتِي عَمَلُوا لِأَهْلِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ"⁽³⁾.

فكما نرى في هذا النص أن المدن البعيدة يجب قتل كل ذكورها بحد السيف، ومدن كنعان مصيرها الإبادة الشاملة لكل الرجال والنساء والأطفال، فالأسير الرجل مقتول سواء كان من المدن البعيدة أو مدن كنعان فهذا "أمصيا بن يواش" ملك مملكة يهوذا ننظر ماذا فعل؟: "فَأَعَادَ أَمْصِيَا جَيْشَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَلَدِهِمْ فِي أَفْرَايِمَ. فَعَادُوا إِلَى بَلَدِهِمْ وَهُمْ يَشْتَعِلُونَ غَضَبًا مِنَ الْمَلِكِ وَمِنْ شَعْبِ يَهُوذَا. ثُمَّ اسْتَجْمَعَ أَمْصِيَا شَجَاعَتَهُ وَقَادَ جَيْشَهُ إِلَى وَادِي الْمَلْحِ فِي أَدُومَ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ قَتَلَ جَيْشُ أَمْصِيَا عَشْرَةَ آلَافٍ

(1) سفر يشوع 13:17، السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش ج4، ص144، (سفر يشوع)

(2) السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش ج4، ص145، (سفر يشوع)

(3) سفر التثنية 20:10-18.

جُنْدِيٍّ مِنْ سَاعِيرٍ، وَأَسْرُوا أَيْضاً عَشْرَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ.⁷ هُوَ قَتَلَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمَلْحِ عَشْرَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَ سَالِعَ بِالْحَرْبِ، وَدَعَا اسْمَهَا يَقْتَتِيلَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ"⁽¹⁾.

وإذا تزوج الإسرائيلي امرأة من السبايا يشرع له أن يكرمها لإذلاله لها. كما في سفر التثنية، وهذا التكريم هو أن يتركها لنفسها إذا لم يُسرَّ بها ولا يبيعها ولا يسترقها: "إِذَا خَرَجْتَ لِحُارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا، وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، وَالتَّصَقَّتْ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً، فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلِمُ أَظْفَارَهَا وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً. وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلَقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِعْهَا بَيْعًا بِفِضَّةٍ، وَلَا تَسْتَرْقَهَا مِنْ أَجْلِ أَنْكَ قَدْ أَذَلَّتْهَا"⁽²⁾.

يقول القس وليم مارش: "فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلِمُ أَظْفَارَهَا: كان هذا علامة الحزن لأن طول الشعر من الزينة وكذا كان طول الأظفار عند الشرقيين. واختلف قدماء المفسرين في أنه هل يجوز لها بعد ذلك أن تطلق كلاً من شعرها وأظفارها أو لا، وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً.

ثِيَابَ سَبْيِهَا رَأَى راشي أن هذه الثياب فاخرة حسناء لبستها بغية أن تجذب قلب سابيها (قابل بهذا ما أنه إيزابل لتجذب قلب ياهوإيليا)، لَا تَبِعْهَا... وَلَا تَسْتَرْقَهَا الخ هذا دليل على أنه كان يحل للإسرائيلي إذا لم يتزوج المديانية أن يبيعها وأن يسترقها"⁽³⁾.

وكما يكون اليهود في حروبهم وحوشاً وسيلتهم التسخير وغايتهم التدمير؛ فإنهم كذلك في أعقاب الحروب يقتلون ويبيدون ولا يخضعون لقاعدة في الأسر والسبي! ومن أمثلة الأمم التي عاملت الأسرى

(1) سفر الملوك الثاني 14: 7.

(2) سفر التثنية 21: 10-14.

(3) السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش ج3، ص132، (سفر التثنية)

بقسوة لا هوادة فيها: (الفرس والإغريق)؛ فقد كانوا يَنكَلون بأسراهم، ويعرضونهم للتعذيب والصلب والقتل⁽¹⁾

المبحث الثاني: الأسرى والسبي في النصرانية.

لقد جاءت كل من رسالة النبي عيسى عليه السلام ورسالة الإسلام الخاتمة التي أتى بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك موسى عليه السلام بعد أن مضت آلاف أو عشرات الآلاف بل وربما مئات الآلاف من السنين على عمر الدنيا، وقد نزلت خلال هذه الفترة رسالات سماوية سابقة هدت الناس إلى الطريق المستقيم، ولكن طال على الناس الأمد، فتبدل الطريق المستقيم الواحد بالسبل العوجاء العديدة وتحولت الوسطية السمحة إلى همجية متوحشة وبربرية حيوانية، وتجلت هذه المعاني الفاسدة عند الخلاف لاسيما الحروب كذروة الخلاف الإنساني.

ومن ثم؛ سادت الخلافات الإنسانية ولاسيما في الحروب ممارسات لا إنسانية بشعة مثل القتل والسلب والسبي وغير ذلك من الأعراف الفاسدة قبل بعثة النبيين عيسى ومحمد عليهما السلام بزمان طويل، ولذا لم تبتدع النصرانية في حلها الحالية القتل ولا السلب ولا السبي لأن هذه الممارسات كانت موجودة قبل ذلك.

ولكن أليس من المفترض أن تهذب الرسالات السماوية من أعراف الناس وممارساتهم وسلوكياتهم وعاداتهم وتقاليدهم؟ فهل فعلت النصرانية ذلك فعلا لاسيما بالنسبة لأعراف الحرب التي كانت متبعة عند نزولها أم أنها جريا على هذه الأعراف أم أنها زادها سوءاً وفساداً؟

إن المتأمل في كلمات المسيح التي يتعرض فيها لظاهرة العنف، لا يجد فيها أي مسحة من الضعف، بل يكتشف فيها قوة غير عادية لنزع بذور الانتقام من داخل الإنسان، ومعالجة العنف بصورة مثلى، ودعونا نقرأ ما قاله المسيح: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ

(1) الحرب والسلام العميد محمد سعد الدين زكي ص 208، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية د. عبد اللطيف

أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَعْتَمٌ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضَيْكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (1)

وأما العهد الجديد، فقد نقل عن المسيح تأكيداً لحرمة القتل وإقراره لحد القتل؛ فنقرأ: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ" (2).

ولم يكتفِ المسيح بتحريم القتل وإنما حرم ما يؤدي غالباً إلى ارتكاب جريمة القتل وهو الغضب واعتبره مستوجباً لحد القتل. ففي العهد الجديد يقول: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحَقُّ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ" (3).

المطلب الأول: الأسر والسبي والقتل والجحزية في النصرانية

على الرغم من تحريم القتل والأسر والاستعباد في النصرانية، إلا أننا نجد النصرانية قد استباحَت القتل والسبي وفقاً لما ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وحسبما هو معلوم من تاريخ النصرانية. وهكذا، فإن النصرانية لم تهذب من أعراف الحرب وإنما سارت عليها بنفس الهمجية والبربرية بل وأكثر.

القتل في العهد الجديد: نقل العهد الجديد عن المسيح قوله أنه لم يأت للسلام وإنما جاء بالسيف ونقرأ على سبيل المثال: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلامًا بَلْ سِيفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأَفْرِقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ" (4).

(1) إنجيل متى ٥: ٣٨-٤٤، والمسيحية والعنف للقس وليم مارش، مقال على موقع نداء الرجاء <https://call-of-hope.com/new/site/pages/itemFormat.php?lang=ara§ion=articles&item=3&format=html>

(2) إنجيل متى ٥: ٢١.

(3) إنجيل متى ٥: ٢٢.

(4) إنجيل متى ١٠: ٣٤-٣٦.

واتساقاً مع سبق، نقل العهد الجديد عن المسيح أمره لأتباعه بذبح من لا يؤمن به، كما في هذا النص: "أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَاتُّوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي"⁽¹⁾.
يقول القس وليم إدي: ".... وأشار المسيح بهذا إلى عقاب أعدائه في هذا العالم وفي العالم الآتي يهوداً كانوا أو أمماً في عصره أو سائر الأعصار"⁽²⁾.

الجزية في العهد الجديد:

نقل العهد الجديد عن المسيح إقراره للجزية، نقراً: "حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ تَلَامِيذَهُمْ مَعَ الْهِيَرُودُسِيِّينَ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتَعْلَمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تَبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّاسِ. فَقُلْ لَنَا: مَاذَا تَنْظُرُ؟ أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟ فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْرَهُمْ وَقَالَ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونِي يَا مَرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ. فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكَاتِبَةُ؟" قَالُوا لَهُ: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: "أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ"⁽³⁾.

يقول القس وليم إدي: "قيصر اسم لكل إمبراطور من الرومان كقرون لقب كل ملوك مصر. وكان الإمبراطور يومئذٍ طيباريوس الذي اشتهر بالقساوة والدناءة (ملك سنة ١٤ - ٣٧م). وكان اليهود يؤدون الجزية للرومان بالنسبة إلى أموالهم حسب إقرارهم بأقذارها. وتأديتهم الجزية دليل على تسليمهم بسلطة الأجانب عليهم، وعلامة على عبوديتهم. وكان تأديتهم الجزية للرومان من أكره الأمور عندهم ولا سيما عند الفريسيين، وقامت فتن كثيرة في اليهودية لأخذ الرومان تلك الجزية من أهلها فلو سئل الفريسيون هذا السؤال لأجابوا لا. ولو سئل الهيروديسيون لأجابوا نعم إرضاءً للرومان. فلو قال المسيح يجوز لشكا عليه الفريسيون إلى الشعب وأثبتوا أنه خائن لأمتهم، فيستحيل أن يكون مسيحهم المتوقع أنه يرفع نير الرومان عنهم، فيمكنهم أن يقضوا عليه بلا معارض من الشعب. ولو قال لا يجوز لشكا الهيروديسيون إلى بيلاطس

(1) إنجيل لوقا 27:19.

(2) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل للقس وليم إدي (إنجيل لوقا) صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت

1973م.

(3) إنجيل متى 22:15-21.

الوالي بِحُجَّةٍ أَنَّهُ عَاصٍ يَهِيْجُ الْفِتْنَ عَلَى قَيْصَرَ، كَمَا كَذَبَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الْأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جَزِيَّةٌ لِقَيْصَرَ"

المطلب الثاني: نماذج من القتل والسبي والإبادة في النصرانية (الحملة الصليبية ومحاكم

التفتيش)

يشهد التاريخ النصراني القديم ناهيك عن الحديث بجرائم وحوادث القتل والسلب والسبي منذ فجره- ولا زال- وحتى الآن؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- مذبحة تسالونيكي 390م: مذبحة تسالونيكي هي مذبحة ارتكبتها في فجر النصرانية الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول (ثيودوسيوس الكبير 347-395 م) وهو أول إمبراطور يتبنى النصرانية حيث بناها في عام 380م وجعل منها ديناً وحيداً للإمبراطورية في عام 391م. فقد ارتكبت هذه المذبحة في عام 390م ضد سكان تسالونيكي الذين ثاروا على الإمبراطورية الرومانية، حيث ارتكب الجيش الروماني مجزرة ضد سكان تسالونيكي. فقتلوا الآلاف من الرجال والنساء والأطفال.

ولقد قدر المؤرخ المسيحي ثيودوريطس في كتابه "تاريخ أصفياء الله" عدد القتلى في هذه المجزرة بحوالي 7000 نسمة، وفي هذا الكتاب نقرأ السطور التالية:

"... استشاط الإمبراطور ثيودوسيوس الأول غضباً حتى بلغ الغضب منه مبلغه، فأشبع رغبته في الانتقام باستلال السيف ظلماً وعدواناً ضد الجميع، فذبح الأبرياء والمذنبين على حد سواء. ويقال أن سبعة آلاف شخص قد هلكوا في غياب أي شكل من أشكال القانون وبدون حتى صدور حكم قضائي ضدهم، بيد أنهم قطعوا على حد سواء كسنا بل القمح في موسم الحصاد"⁽¹⁾.

2- مجزرة حلب 961م: في 18 ذو القعدة 351 هـ الموافق 18 ديسمبر 961م وصل البيزنطيون بقيادة نقفور فوقاس بجيشٍ ضخمٍ فاق بعناصره وعتاده حجم الجيش الحمداني، فهُزم الأخير شر هزيمة،

(1) تاريخ أصفياء الله المؤرخ ثيودوريطس (393-458م) الفصل الخامس عشر ص 387.

وحُوصرت حلب ثم اقتحمت، وارتكب الروم فيها مجزرة كبيرة وعدة فظائع، فأعملوا السيف في أهلها وأحرقوا البيوت والمساجد والأشجار والمزروعات والمعالم الحضارية من أسواق وقصور بما فيها قصر سيف الدولة، وسبوا آلاف المسلمين، واستحالت حلب وأعمالها خراباً.

وقد ذكر ابن كثير من أعمال نقفور أنه "ورد حلب في مائتي ألف مقاتل بغتة في سنة ٣٥١ هجرية. وجال فيها جولة، ففرّ من بين يديه صاحبها سيف الدولة. ففتحها عنوة، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله. وخرّب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب، وأخذ أموالها وحواصلها وبدد شملها... وكان لا يدخل في بلد إلا قتل المقاتلة..."⁽¹⁾.

3- سمل عيون الأسرى البلغار 1014م: بعدما انتصر باسيليوس الثاني (باسيل الثاني) في معركة كليديون يوليو 1014، وأسر 15.000 رجل، ذكرت المصادر أنه أمر بسمل عيون الأسرى، ولم يترك إلا عيناً واحدة لكل مائة واحد منهم ليقود هذه الجموع المنكودة في عودتها إلى صمويل قيصر البلغار، صمويل المنهزم الذي مات غماً بعد أشهر قليلة أكتوبر 1014م، ولذلك، سمي باسيليوس الثاني "سفاح البلغار"⁽²⁾.

4- سمل عيون الإمبراطور رومانوس الرابع 1072م: أغار الإمبراطور الروماني رومانوس الرابع على بلاد الشام الشمالية وهاجم مدينة "منبج" ونهبها وقتل أهلها. فتصدى له السلطان ألب أرسلان وحقق انتصاراً خاطفاً عليه. وبعث إليه السلطان ألب أرسلان يطلب منه الصلح والهدنة ولكن رفض رومانوس الصلح والهدنة رفضاً قاطعاً. ودارت بينه وبين المسلمين معركة ملاذكرد، فهزمه المسلمون وأسروه وأحضروه إلى السلطان ألب أرسلان ودار بين رومانوس وأرسلاّن حوار تاريخي.

وجاء في "سير أعلام النبلاء" للذهبي وصف لهذا الحوار، حيث قال ألب أرسلان: ويلك ألم أبعث أطلب منك الهدنة؟ قال رومانوس: دعني من التوبيخ، قال: ما كان عزمك لو ظفرت بي؟ قال: كل قبيح، قال: فما تؤمل وتظن بي؟ قال رومانوس: القتل أو تشهري في بلادك، والثالثة بعيدة: العفو وقبول

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج11 ص277، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج7 ص28 .

(2) مبادئ القانون الدولي الإنساني: مصلح حسن أحمد عبد العزيز ص226.

الفداء، قال السلطان: ما عزمتُ على غيرها، فاشترى - رومانوس - نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، مع إطلاق كلِّ أسيرٍ في بلاده، خُلع عليه، وبعثَ معه عدَّة وأعطاه نفقةً توصله.

ومن المفارقات أن الروم المسيحيين فعلوا بإمبراطورهم المسيحي رومانوس ما لم يفعله به السلطان ألب أرسلان المسلم، وأنه لو ظل رومانوس في الأسر عند المسلمين لكان خيرا له، فعندما عاد رومانوس إلى القسطنطينية، خُلع عن العرش، وسُملت عيناه ونُفِّي إلى جزيرة بروتي، وبعد ذلك بفترة وجيزة توفي نتيجة الإصابة أثناء العملية الوحشية لسمل عينيه. وآخر مرة شاهد فيها رومانوس قلب الأناضول الذي أمضى حياته مدافعاً عنه كانت مهينة له إذ وُضع على حمار مشوه الوجه لإهانته⁽¹⁾.

لقد قام النصارى-ولا زالوا- بجرائم بشعة ضد مخالفينهم من المسلمين واليهود وحتى بين طوائف النصرانية، فأسروا وقتلوا وأبادوا ومثلوا بالجثث، من هذه النماذج:

5- مذابح القدس 1099م: إبان الحملة الصليبية الأولى، دخل الصليبيون القدس في 15 يوليو سنة 1099م، وأقاموا فيها مذبحاً قضاوا على سكانها جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً وكهولاً، واستباحوا مدينة القدس أسبوعاً يقتلون ويدمرون حتى قتلوا في ساحة الأقصى فقط سبعين ألفاً من المسلمين. ويذكر أن ريموند القائد الصليبي احتل "مَعْرَةَ النعمان"، وقتل بها مائة ألف، وأشعل النار فيها⁽²⁾.

جدير بالذكر أن القدس قد دخلها المسلمون أربع مرات ولم يفعلوا بها ما فعله الصليبيون. ففي المرة الأولى، دخلها عمر بن الخطاب في أواخر أبريل 637 م، وعقد مع أهلها صلحاً عرف باسم "العهد العمرية" وبموجبها أعطاهم عمر الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم. وفي المرة الثانية، وبعد الحملة الصليبية الأولى بعقود، دخلها صلاح الدين الأيوبي في 2 أكتوبر 1187 م، فقبل الفدية من أهلها وسمح لمن لم يرد دفع الفدية بمغادرة القدس دون التعرض لأحد منهم بسوء. وفي المرة الثالثة، وبعد الحملة الصليبية السادسة بعدة سنوات، دخلها الملك الناصر داود في 7 ديسمبر 1239 م، فخارب الصليبيين وأخرجهم منها

(1) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ط/الرسالة ج35 ص385.

(2) قصة الحضارة وول ديورانت ص6134، تاريخ الحملات الصليبية، كمبردج الجزء الثالث، صفحة 112.

وأعطى أهلها الأمان. وفي المرة الرابعة، دخلها الملك الصالح نجم الدين أيوب في عام 1244م، وتصدق فيها بألفي دينار مصرية وأمر بتعمير سورها⁽¹⁾.

6- مذبحة الرومان الكاثوليك في القسطنطينية 1182م: إنها مذبحة اللاتينيين أو السكان الرومان الكاثوليك الغربيين في القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد السكان الأرثوذكس الشرقيين في أبريل 1182م والتي تم فيها إبادة الجالية اللاتينية الرومانية الكاثوليكية الغربية والتي بلغ عددها من 60 إلى 80 ألف نسمة، وتمت إبادة جاليات جنوة وبيزا على وجه الخصوص وبيع من تبقى منهم والبالغ عددهم 4 آلاف نسمة.

فلقد كان الأرثوذكس الشرقيون والرومان الكاثوليك ينظرون إلى بعضهم البعض على أنهم مارقين من الدين. وبعد إقصاء مارية أميرة أنطاكية الوصية على العرش سمح أندرونيكوس الأول كومنينوس الذي حل محلها إمبراطورا بيزنطيا للأرثوذكس الشرقيين بارتكاب مذبحة للرومان الكاثوليك راح ضحيتها الرجال والنساء والأطفال على حد سواء، حتى أن المرضى الرومان الكاثوليك الراقدين على أسرة المستشفيات قتلوا وتعرضت منازل الرومان الكاثوليك وكنائسهم ومبراتهم لأعمال السلب والنهب على أيدي الأرثوذكس الشرقيين.

وقتل رجال الدين الرومان الكاثوليك، كما قتل الكاردينال يوحنا ممثل البابا وقطعت رأسه وجابت الشوارع مسحوبة في ذيل كلب⁽²⁾.

7- تمزيق الإمبراطور "أندرونيكوس الأول كومنينوس" إرباً عام 1185م: قبل أن يصبح أندرونيكوس الأول كومنينوس إمبراطورا بيزنطيا، كان قد أسره السلاجقة المسلمون وظل في أيديهم لمدة عام كامل. ولم يمسه المسلمون بأذى على الرغم من أنه كان يقاتل ضدهم. ولما افتدي، عاد إلى القسطنطينية. وأصبح إمبراطورا بيزنطيا فيما بعد.

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ج1 ص174.

(2) تاريخ الحملات الصليبية ج3 ص109، ومبادئ القانون الدولي الإنساني: مصلح حسن أحمد عبد العزيز ص229.

ولكن لما عزل من منصبه كإمبراطور بيزنطي، تم اعتقاله وتسليمه إلى غوغاء القسطنطينية. وترك لهم لمدة ثلاثة أيام حتى يعبروا عن غضبهم واستيائهم منه حيث ظل يضرب خلال هذه المدة مقيدا في إحدى السواري. فقطعت يده اليمنى واقتلعت أسنانه وشعره وسملت إحدى عينيه وقذف ماء مغلي في وجهه. وفي نهاية المطاف، اقتيد إلى مضمار القسطنطينية (ميدان السلطان أحمد حاليا) وعلق من رجله بين عمودين. وتسابق جنديان على من ينفذ سيفه أكثر عمقا في جسده. وتم تمزيقه إربا. ومات في 12 سبتمبر 1185⁽¹⁾

8- مجزرة عكا 1191م: حاصر الصليبيون عكا لأكثر من ثلاثة أشهر حتى استسلمت في 12 يوليو 1191، وفي 20 أغسطس من نفس العام ارتكب الصليبيون مجزرة رهيبة عند تل العياضية حيث قتلوا أكثر من 3000 أسير مسلم وقتلوا معهم نساءهم وأطفالهم.

9- تخريب القسطنطينية وتدميرها 1204م: في عام 1204 وإبان الحملة الصليبية الرابعة، دخلت الجيوش الصليبية المدينة وحرقت مبانيها العامة والخاصة وانتهكت حرمة كنائسها.

فعلى الرغم من أن الهدف الرئيسي لهذه الحملة كان في الأساس احتلال القدس عن طريق غزو مصر، احتل صليبيو الغرب الرومان الكاثوليك مدينة القسطنطينية الأرثوذكسية الشرقية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية للاستيلاء على أملاك بيزنطة للاستعانة بها على الحملة وتوحيد المسيحيين تحت لواء هذه الحملة باسم الكنيسة⁽²⁾.

10- معتقلات جواتنامو الأمريكية: هي معتقلات أمريكية، أنشئت في كوبا قبالة ولاية فلوريدا الأمريكية بعيد الغزو الأمريكي لأفغانستان، ويقع فيها المسلمون تحت تهمة الإرهاب، زنازين هذه المعتقلات تشبه أقفاص القروء، وتفتقر لأدنى مقومات الحياة، انتهكت فيها أعراض الأسرى، وديست كرامتهم، بل ومزقت المصاحف، وألقيت في بيوت الخلاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولعلَّ السبب في أنَّ المعتقلات مقامة على أرض كوبا، وليس أمريكا - مع أنها قادرة على ذلك، ولديها المتسع، والإمكانات - يتلخص في أن أمريكا لا تريد أن يخضع المعتقلون للقانون الأمريكي من حيث التحقيق،

(1) تاريخ الحملات الصليبية، كبردج، الجزء الثالث، صفحة 118 وما بعدها.

(2) تاريخ الحملات الصليبية، كبردج 1966 (1954)، الجزء الثالث، صفحة 123.

والحق في المحاكمة، وتوكل محام للدفاع عن المعتقل، وبالتالي تفعل بهم القوات الأمريكية ما تشاء، فبئس ما يزرعون⁽¹⁾.

أما الإنجيل فقد أقر الإسرائيليون على الرق كما أقر الرومانيون ولم يأمر السادة بالعتق ولا بالرفق؛ بل أوصى العبيد بالخضوع والطاعة بغير شرط ولا قيد. ومن وصايا بطرس في رسالته الأولى: "أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفين فقط، بل للعنفاء أيضا..."⁽²⁾.

ومن وصايا بولس: "أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة"⁽³⁾.

جدير بالذكر أن السلطان محمد الفاتح لما دخل القسطنطينية في مايو 1453 م خصص فرقا عسكرية لحراسة بعض مواقع المدينة وأهمها الكنائس حتى لا يتعرض لها أي من الجنود بضرر. وتوجه إلى كاتدرائية آيا صوفيا حيث تجمع خلق كثير من الناس فأمنهم على حياتهم وممتلكاتهم وحرّيتهم⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: الأسرى والسبي والرق في الإسلام.

لقد كانت أعراف القتل والسلب والأسر والسبي والغنيمة والجزية سابقة لرسالة الإسلام الخاتمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ، فجاء الإسلام فهذبها ورقاها تهذيبا وترقية لم يكونا معهودين في حياة النبي محمد ﷺ قبل البعثة ولا بعده بقرون وصولا إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، ولم يشرع الإسلام القتال في بداية الدعوة ولكن أباحه بعد الهجرة بضوابط صارمة؛ لذا، دعونا نتعرف على موقف الإسلام من الأسر والسبي والقتل والسلب والجزية.

المطلب الأول: القتل والقتال والسلب وتشريع الجهاد في الإسلام

(1) جريدة الرياض عدد 13836، 12/5/2006م، صحيفة الوطن 25/4/2006م، ونقل ذلك العديد من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

(2) رسالة بطرس الأولى 2: 18.

(3) رسالة بطرس إلى أهل أفسس 6: 5.

(4) القتل والسلب والغنيمة والجزية والأسر والسبي بين النصرانية والإسلام 2/2.

ويلاحظ في الآيات السابقة ذكر العلة من الإذن بالقتال وهي الدفاع عن المؤمنين وصد العدوان ورفع الظلم والاضطهاد وحماية دور العبادة، سواء كانت معابد يهودية أو كنائس مسيحية أو مساجد

إسلامية، والتمكين في الأرض للمؤمنين حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

ضوابط إباحة القتال: وكما ورد الإذن بالقتال في القرآن دفاعا عن الدعوة، وردت فيه أيضا الضوابط التي تضمن تقنين هذا القتال وقصره على أغراضه التي شرع لها من الدفاع والحماية ومنع تعديه إلى أغراض لم يشرع لها مثل الظلم والعدوان.

فالإذن بقتال المشركين مرهون بعدم الاعتداء أو العدوان عليهم، فعن ذلك نقرأ في القرآن الكريم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاقْتُلُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة 190-194]

والإذن بقتال المنافقين الذين يخونون المؤمنين ويوالون الكفار على المؤمنين مرهون بعدم توبتهم وكف أذاهم وعدم انتمائهم لقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق. وعن ذلك نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَمْ يَدْرُسُونَ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا. وَذُؤُوا أَوْ تُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُثْقًا وَلَا تَصِيرُوا سَحَابُونَ أَخْرَجَ يَدْرُسُونَ أَنْ يَأْمُرُوكُمْ وَإِمْسُوكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء 88، 89، 91]

كما نقرأ أيضا: ﴿لَنْ تَنَالَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْمُرْخُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾ [الأحزاب 60-61]

والإذن بقتال ناقضي العهود والمواثيق والأيمان الطاعنين في الدين والمخرجين للمؤمنين من ديارهم كذلك مرهون بانتهائهم عن ذلك. وعن ذلك نقرأ في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة 12:9]

أنواع القتال المباح: للقتال أو الجهاد في الإسلام نوعان: جهاد الدفع وجهاد الطلب:
أولاً: جهاد الدفع: فهو قتال المسلمين ضد عدو يعتدي عليهم في أرضهم أو على مقربة منها، وفي هذه الحالة يؤذن للمسلمين بالقتال للدفاع عن أنفسهم وأرضهم ودينهم ضد العدوان حتى يكف المعتدي عن عدوانه.

ثانياً: جهاد الطلب: وأما جهاد الطلب، فهو قتال المسلمين ضد عدو فرض عليهم القتال خارج أرضهم وغالباً ما يكون هذا القتال لأغراض الدفاع عن المسلمين حال دعوتهم إلى الله تعالى خارج أرضهم. ولهذا القتال ضوابط وردت في الكتاب والسنة.

ومن هذه الضوابط ما ورد في الحديث: "عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا" (1).

(1) أخرجه مسلم: باب تأمير الأمير الأمراء على البعوث، حديث: 4619.

ولقد نهى النبي محمد ﷺ عن قتل الأبرياء وخصوصاً الأطفال والتعرض لدور العبادة ولا لأصحابها وخصّ الصوامع بالذكر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: "أخرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع" (1).

ويتكرر نهي النبي عن قتل الأبرياء لاسيما النساء والأطفال في الحديث التالي: "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان" (2).

موقف الإسلام من السلب: على الرغم من أن الإسلام جرى على العرف الذي كان متبعاً قبل الإسلام في الحروب من استحقاق المنتصر للغنيمة و"السلب" بفتح اللام وليس تسكينها، إلا أن المسلمين لم يكونوا حريصين على سلب الشعوب الأخرى واغتنام أموالهم وممتلكاتهم على نحو ما جرت به العادة قبل الإسلام بدليل تخليهم عن الأسلاب والغنائم في بعض المواقف التاريخية لاسيما في حياة النبي محمد ﷺ، فلم يكن الهدف من حروب المسلمين السلب ولا النهب ولا الغنائم ولكن الدفاع عن أنفسهم والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

فعلى سبيل المثال، رد النبي محمد ﷺ على مالك بن عوف سيد هوازن أهله وماله بل وأعطاه مائة من الإبل واستعمله على قومه في أعقاب غزوة حنين.

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف. فقال: أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل. فلما بلغ ذلك مالكا أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه، فرد عليه أهله وماله، ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف ﷺ (3).

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، مسند عبد الله بن العباس 200/1 حديث 2728.

(2) أخرجه البخاري كتاب الوحي، باب قتل النساء في الحرب، حديث: 3015.

(3) المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) ج14 ص214.

ودرءاً للشبهة وسوء الفهم، نقول: لم يبيح الإسلام ما جرت عليه عادة الجيوش من سلب ونهب أموال وممتلكات المدنيين الأبرياء. وإنما أباح الإسلام "السلب" وهو استلاب متاع المقاتلين الذين يحاربون المسلمين. كما أباح الإسلام "الغنيمة" وهي المنقولات التي يتحصل عليها المسلمون في ساحات المعارك من جيوش غير المسلمين؛ أما المدنيون، فلم يبيح الإسلام أعمال السلب ولا النهب ضدهم ولا انتهاك حرمتهم، ففي فتح مكة، كانت راية الأنصار مع سعد بن عباد، فلما مرَّ بأبي سفيان قال له: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فلما حاذى الرسول محمد ﷺ أبا سفيان قال: يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد؟، قال: وما قال؟ فقال: كذا كذا، فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة"، فقال الرسول محمد ﷺ: بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً، ثم أرسل إلى سعد فنزع منه اللواء، ودفعه إلى ابنه قيس بن سعد بن عباد، وقيل: بل دفعه إلى الزبير⁽¹⁾.

وعن ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة قالت: لما نزل رسول الله ﷺ واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة فخطب. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة، فذكر الحديث، وفيه: ثم قال يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم جلس فقام علي فقال: اجمع لنا الحجابة والسقاية، فذكره. وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال: خذها خالدة مخلدة، إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم، وفي فتح العراق، لم يعرض خالد بن الوليد لمن لم يقاتلوه من الفلاحين بل أحسن معاملتهم كما أوصاه أبو بكر، وأبقاهم في الأرض التي يفلحونها⁽²⁾.

(1) الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري ص 246، دار الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

(2) سيرة أبي بكر الصديق، علي الصلابي، ص 312

وهكذا لم يسلب المسلمون أموال المدنيين، وإنما كانوا يغتنمون متاع المقاتلين أو القبائل التي كانت تحاربهم عن بكرة أبيها كما حدث مع قبائل العرب واليهود. أما الأقوام التي كان فيها مقاتلون ومدنيون غير مقاتلين، فلم يكن المسلمون يتعرضون للمدنيين غير المقاتلين أو ممتلكاتهم، ولكن كانت تفرض عليهم جزية في حدود استطاعتهم ومقدرتهم.

"وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ مَا شَأْنُ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ وَأَهْلُ الْيَمَنِ عَلَيْهِمْ دِينَارٌ قَالَ جُعِلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْيَسَارِ". "أي تيسر الحالة المادية"⁽¹⁾.

وروى أبو داود في سننه عن رسول الله ﷺ قال: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"⁽²⁾.

ولقد أعفى الإسلام من أداء الجزية النساء والصبيان والمساكين والرهبان وذوي العاهات، بل زاد الإسلام فتكفل بالإنفاق على من شاخ وعجز من أهل الذمة. وهذا هو خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عدي بن أرطاة عامله على البصرة: ".. وانظر من قبلك من أهل الذمة، من قد كبرت سنه وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه... وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بشيخ من أهل الذمة، يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبابك، ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه.

لقد كان النبي محمد ﷺ شديد الحرص على أداء الأمانة، فقبل أن يهاجر طلب من علي رضي الله عنه أن يرد الأمانات لأصحابها، فقال لعلي رضي الله عنه: "نمّ على فراشي، واتّشح ببردي الأخضر، فم فيه، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة"⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب حديث 3156.

(2) أخرجه أبو داود باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا حديث: 3054.

(3) أخرجه الطبراني في تاريخه: ج2 ص372.

فلو كان النبي حريصاً على السلب والنهب، فلماذا رد الأمانات إلى قريش التي أقدمت على قتله وأجبرته على الخروج من وطنه؟ إنما أثر النبي أن يجري على العرف المتبع وأن يسترد حقه بسيفه في ساحة القتال بدلاً من خيانة الأمانة اعتباراً من غزوة بدر وحتى نهاية حياته ﷺ.

المطلب الثاني: حقوق الأسرى والإحسان إليهم في الإسلام

على الرغم من أن الإسلام جرى على العرف الذي كان متبعاً قبل الإسلام في الحروب من أسر رجال العدو وسبي النساء والأطفال، إلا أن الإسلام هدّب هذا العرف ورقاه على نحو لم يكن معهوداً لأزمنة طويلة.

ونقارن بين منهج الإسلام وبين تعامل القبائل العربية مع أسرى الحرب؛ وما فتأت الحرب تشتعل بين حين وآخر بين القبائل العربية بدافع العصبية والقبليّة، ومما لا شكّ فيه أنّه كان لهذه الحروب المستمرة نتائج وبيّلة على الفريق المنهزم؛ وذلك لما يترتب على الهزيمة من سبي النساء والذرية والرجال إن قدر عليهم، وقد يتم قتلهم، أو استرقاقهم وبيعهم عبيداً، ولم يكن هناك ما يُسمّى بالمنّ عليهم أو إطلاق سراحهم دون مقابل، فقد كانت تلك الحروب تمثل أحد الروافد الأساسية لتجارة العبيد التي كانت إحدى دعائم الاقتصاد في الجزيرة العربية، وقد استمرت هذه الحروب بين القبائل العربية حتى غلب عليها الإسلام، مثل حروب الأوس والخزرج في المدينة، وبكر وخزاعة قرب مكة وغيرها.

وبالنسبة لأسر الرجال، فعلى الرغم من إباحته في الإسلام، إلا أنه لا يسمح باستطالته ولا بإفضائه إلى الاسترقاق، فالأسير غير المسلم لا يظل أسيراً مدى الحياة كما أنه لا يستعبد، بل هو بين ثلاثة مصائر: إما المن أو الفداء أو القتل، فللمسلمين أن يمنوا عليه بإطلاق سراحه دون مقابل أو يفدونه بمقابل مادي أو بأسير مسلم أو يقتلوه إذا بدر منه ما يوجب قتله، على أن حالات قتل الأسرى قليلة جداً في التاريخ الإسلامي، فعن ذلك نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا قُتِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْمَثْتُمْهُمْ فَشْدُوا الوُثَاقَ فَإِمَّا مَغْلَبَتُهُمْ مِائِدَةً أَوْ قَاتِلُوا أَوْ زَارَهُمْ﴾ [محمد 4:47].

كما نقرأ أيضاً: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخَمَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْزِلَهُ اللَّهُ نَجْوَ الْأَخْرَجَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال 67:8].

ومن اللافت للنظر في الإسلام الوصاية بالأسير وبحسن معاملته على خلاف ما نجده في الأديان الأخرى، ولقد نزل بذلك آيات في القرآن تنبئ إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، فعلى سبيل المثال، نجد في القرآن الكريم وعد للأسرى بجزيل العطاء والمغفرة في الدنيا والآخرة إذا أقلعوا عن الشر وعملوا الخير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُو عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال 70].

ولقد أوصى القرآن الكريم بحسن معاملة الأسرى وعدّ المحسنين إلى الأسرى من الأبرار وعباد الله الذين وعدهم الله بحسن العاقبة وعظيم الأجر في الآخرة. فنحن نقرأ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. يُوفُونَ بِالْإِثْمِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَى حَبِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان 5-8].

والأعجب من ذلك حض الإسلام على فكك الأسرى أي إطلاق سراحهم، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فُكُّوا الْعَانِي، يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ⁽¹⁾. ولقد طبق النبي محمد ﷺ هذا الحديث عملياً في حياته كما رأينا وكما سنرى، حيث أطلق سراح سبائاً وأسرى بني المصطلق وسبائاً وأسرى هوازن من أهل مالك بن عوف.

وكان الأسرى قديماً يذبحون أو يقدمون قرابين للآلهة، ثم رؤي بعد ذلك الانتفاع بهم، فحل الاسترقاق محل القتل، وصار الأسرى يستعبدون ويتخذون للبيع والشراء، ومن أمثلة الأمم التي عاملت الأسرى بقسوة لا هوادة فيها الفرس والإغريق، فقد كانوا ينكلون بأسراهم ويعرضونهم للتعذيب والصلب والقتل⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب فكك الأسير حديث 3046.

(2) أحكام الأسرى والسبائ في الحروب الإسلامية عبد اللطيف عامر ص 91.

ولقد منح القانون الروماني للمالك الحق في إماتة عبده أو استحيائه، وكَثُرَ الرقيق في عهدهم حتى ذكر بعض مؤرخيهم أن الأرقاء في الممالك الرومانية يبلغون ثلاثة أمثال الأحرار⁽¹⁾، أما العجيب فهو أنهم - أي الرومان - كانوا يستخدمونهم أيضاً كوسائل للترفيه والتسلية؛ فكانوا يضعون هؤلاء الأسرى مع الوحوش المفترسة في أقفاص مغلقة، بينما يستمتع الأمراء والوزراء بمشاهدة الوحوش وهي تفتريهم⁽²⁾.

والأنكى من ذلك ما حدث - على سبيل المثال - في عهد الإمبراطور (فبسيان)، حيث حاصر الرومان اليهود في القدس - وكان اليهود يسمونها أورشليم - لمدة خمسة أشهر، انتهت في سبتمبر سنة 70 ميلادية، ثم سقطت المدينة في أشد هزيمة مهينة عرفها التاريخ؛ حيث أمر الرومان اليهود أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم بأيديهم، وقد استجاب اليهود لهم من شدة الرعب، وطمعاً في النجاة! ثم بدأ الرومان يخرجون القرعة بين كل يهوديين، ومن يُفَزُّ بالقرعة يقوم بقتل صاحبه، حتى أُبِيدَ اليهود في القدس عن آخرهم، وسقطت دولتهم، ولم ينجُ منهم سوى الشريد، وأولئك الذين كانوا يسكنون في أماكن بعيدة⁽³⁾.

وفي الهند كان الأسير يقع ضمن الطبقة الرابعة والأخيرة في تقسيم طبقات المجتمع عندهم، وهي طبقة شودر وهم المنبوذون، والذين هم أَحَطُّ من البهائم، وأذل من الكلاب، وَيُصَرِّحُ القانون بأنه من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة (طبقة الكهنة والحكام) دون أجر! وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والبومة مثل كفارة قتل الشودر سواء بسواء!⁽⁴⁾.

معاملة الأسرى والأرقاء في الإسلام: الإسلام دين العدل والرحمة والإحسان، مع المسلم والكافر، فيجب الإحسان إلى الأسير، وإكرامه، والعناية به، وإطعامه، وعدم إهانته أو إذلاله، أو الإساءة إليه.

1- قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 8-9].

(1) فجر الإسلام أحمد أمين ص 88.

(2) الطريق إلى القدس د. محسن محمد صالح ص 40.

(3) بلاد فلسطين للدباغ ج 9 ص 68-70.

(4) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي ص 7، والشودر: هم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين ويشكلون طبقة المنبوذين في المجتمع الهندي. مقدمات في أصول فلسفة الدين د. محمد العلي.

2- وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فُكُّوا الْعَانِي، يَعْنِي: الْأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ" ⁽¹⁾.

هكذا النبي ﷺ مع الأسرى:

فعل النبي ﷺ بالأسرى ما فيه المصلحة كما يلي:

- 1- قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ رِجَالَ بَنِي قَرِيظَةَ، وَقَتَلَ بَعْضَ أَسْرَى بَدْرٍ، النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَقَبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ، وَقَتَلَ فِي أَحَدِ أَبَا عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ؛ وَذَلِكَ لَشِدَّةِ أَذَاهُمْ وَخَطَرِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.
 - 2- اسْتَرْقَ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي الْمَصْطَلِقِ، وَاسْتَرْقَ هَوَازِنَ، وَاسْتَرْقَ بَعْضَ أَسْرَى بَدْرٍ، وَخَيْبَرَ، وَقَرِيظَةَ، وَحَنِينَ، وَكُلَّ ذَلِكَ تَمَّتْ بِهِ مَصَالِحٌ عَظِيمَةٌ.
 - 3- فَدَى ﷺ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَفَدَى مُسْلِمَيْنِ بِمَكَّةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ فِزَارَةٍ، وَفَدَى بَعْضَ أَسْرَى بَدْرٍ بِمَالٍ.
 - 4- مَنْ ﷺ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، وَمَنْ عَلَى ثَمَامَةَ بْنِ أَثَالِ الْحَنْفِيِّ سَيِّدِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَأَسْلَمَ، وَمَنْ عَلَى بَعْضِ أَسْرَى بَدْرٍ وَهُوَ الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَالْمَطْلَبِ بْنِ حَنْطَبٍ، وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أَسَارَى بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّهْنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ" ⁽²⁾.
- ويمكن تلخيص الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية السمحة للأسرى الحرب على النحو التالي:
- أولاً: حق الأسير في المعاملة الحسنة: ويدل لذلك وصية رسولنا الكريم محمد ﷺ في حق أسرى بدرٍ:
- ﴿اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا﴾ ⁽³⁾.

ثانياً: حرمة تعذيب الأسير: تأمر الشريعة الإسلامية بإحسان معاملة الأسرى، وتحرم تعذيبهم ⁽¹⁾، والدليل على ذلك حادثة أسرى بني قريظة، ذلك أنه لما انتصف النهار، واشتد الحر على الأسرى؛ قال

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فكك الأسير حديث: 3046.

(2) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَسَارَى، حديث: 3139.

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: باب من اسمه الحسين، حديث 409 ج1، 250، وفي المعجم الكبير حديث

رسول الله ﷺ موصياً الصحابة الكرام: «لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السَّلَاحِ، قِيلُوهُمْ⁽²⁾، وَاسْقُوهُمْ حَتَّى يُبْرِدُوا»⁽³⁾ وفي الحديث نهي عن تعذيب رجال بني قريظة، وإن كان مصيرهم هو القتل.

ثالثاً: حق الأسير في الطعام والشراب: وإطعام الأسرى يدخل في عموم ما رواه أبو موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «فُكُّوا الْعَانِي - يَعْنِي الْأَسِيرَ -، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ»⁽⁴⁾.

رابعاً: حق الأسير في الكساء: هذا وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - باباً كاملاً في صحيحه يتحدث عن كسوة الأسرى، قال فيه: " باب الكسوة للأسرى " ⁽⁵⁾، وقد روى فيه حديثاً عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أُتِيَ بِأَسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَيْصًا، فَوَجَدُوا قَيْصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَقْدُرُ عَلَيْهِ⁽⁶⁾، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَيْصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ»⁽⁷⁾.

وجه الدلالة من الحديث: لقد كان العباس بن عبد المطلب ﷺ بينَ الطول، ولم يكن له ثوب يستر عورته؛ لذلك لما وقع في الأسر لم يجد رسول الله ﷺ قيصاً يأتي على قدره سوى قيص عبد الله بن أبي بن سلول؛ لأنه كان طويلاً مثله، فألبسه إياه، ولذلك نزع النبي ﷺ قيصه الذي كان يلبسه، وألبسه لابن أبي بن سلول بعد وفاته مكافأةً له على صنيعه، ولذلك قال الإمام ابن عيينة - رحمه الله تعالى - في تعقيبه على

(1) آثار الحرب - وهبة الزحيلي ص 415 وما بعدها، مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام - زيد الزيد ص 38.

(2) قِيلُوهُمْ: من القيلولة، وهي: النوم وسط النهار، والقائلة نصف النهار، والمعنى: اتركوهم يرتاحون، وينامون وسط النهار. القاموس المحيط - الفيروز آبادي ص 947.

(3) هذا الحديث مذكور بكثرة في كتب الفقه دليلاً على وجوب الإحسان للأسرى؛ ولكن لم أقف على تخريجه في الكتب المعتمدة؛ وقد أورده الواقدي في كتاب المغازي ج 2 ص 514.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فكك الأسير حديث 168.

(5) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج 6 ص 144.

(6) يَقْدُرُ عَلَيْهِ: أي جاء على مقداره تماماً. عمدة القاري - العيني ج 12 ص 765.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى حديث 2846، ج 3 ص 1095.

الحديث: "كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ، فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ" ⁽¹⁾، وفيه دليلٌ واضحٌ على أن ثوبَ الأسير يجب أن يكون مناسباً له، ولائقاً به، وأنه لا يجوز أن يتركوا فتبدو عوراتهم ⁽²⁾.

خامساً: حق الأسير في المأوى: لم يعرف المسلمون المعتقلات في صدر الإسلام، ولم يكونوا يُنْظَمُونَ أماكن مخصصة للاعتقال، أو لحبس الأسرى، ومنعهم من الحرب؛ لذلك كان إيواء الأسرى ينحصر في مكانين فقط، هما: مسجد الرسول ﷺ، وبيوت الصحابة الكرام، ويدل لذلك حديث أسير ثمامة بن أثال عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، وفيه: «فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ» ⁽³⁾.

سادساً: حق الأسير في الرعاية الصحية: ويدل لذلك ما جاء في كتب السيرة عن رسولنا ﷺ في حادثة بني قريظة، أنه لما انتصف النهار، واشتدَّ الحرُّ على الأسرى؛ قال موصياً الصحابة الكرام: «لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السَّلَاحِ، قِيلُوهُمْ» ⁽⁴⁾، وَأَسْقُوهُمْ حَتَّى يُبْرِدُوا» ⁽⁵⁾.

كما ثبت أن الناصر صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله تعالى - قد قام بتطبيب جراح الأسرى الصليبيين الذين وقعوا في قبضته، ومدواواتهم ⁽⁶⁾.

سابعاً: حق الأسير في محادثته، والرد عليه: كما في قصة ثمامة بن أثال: وقد ورد فيها أنه لما أُتِيَ به إلى النبي ﷺ وربط في المسجد، نَخَّرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقَتَّلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ،

(1) فتح الباري - ابن حجر ج 6 ص 144، عمدة القاري - العيني ج 12 ص 765.

(2) شرح صحيح البخاري - ابن بطال ج 5 ص 180.

(3) أخرجه البخاري: كتاب الخصومات، باب التوثق ممن تخشى معرته حديث 2290، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه حديث 1764.

(4) قِيلُوهُمْ: من القيلولة، وهي: النوم وسط النهار، والقائلة نصف النهار، والمعنى: اتركوهم يرتاحون، وينامون وسط النهار. انظر: القاموس المحيط - الفيروز آبادي ص 947.

(5) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه ص 24.

(6) أسرى الحرب: الدواعي الإنسانية والأبعاد القانونية - محمد العلي ص 70.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تَنْعَمَ تَنْعَمَ عَلَى شَاكِرٍ؛ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»⁽¹⁾.

ثامناً: حق الأسير في الاتصال بأهله: ويمكن الاستدلال لذلك بما ثبت عَنْ أُمِّنا عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: «لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ؛ بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ⁽²⁾ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِحَدِيحَةٍ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا»⁽³⁾، والمعنى: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَطْلِقُوا لَزَيْنَبَ زَوْجَهَا، وَتَرُدُّوا لَهَا قِلَادَتَهَا، أَيْ إِنْ رَأَيْتُمْ الْإِطْلَاقَ وَالرَّدَّ حَسَنًا فَافْعَلُوهُمَا، وَقَدْ أَخَذَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ عَهْدًا أَنْ يَخْلِي سَبِيلَ زَيْنَبَ، وَيَأْذَنَ لَهَا بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ⁽⁴⁾.

تاسعاً: حق الأسير في احترام شرفه وسمعته: فقد أعطت الفرد حقه في احترام كرامته وإنسانيته؛ فلا يعتدى على عرض أسير أو شرفه، بل وحرمت الشريعة وطء السبايا قبل أن يلدن أو يحضن⁽⁵⁾؛ للتأكد من براءة الرحم، فقد جاء عن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ تُوطَأَ السَّبَايَا حَتَّى يَضَعْنَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الخصومات، باب التوثق ممن تخشى معرفته حديث 2290، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه حديث 1764.

(2) أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ: اسمه لقيط، وقيل هشيم، بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي العبشمي، صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب - رضي الله عنها - أكبر بناته، كان يسمى جرو البطحاء، توفي سنة 12 هـ، وقيل 13، شهد بدرًا مع قريش كافرًا، وأسره عبد الله بن جبير الأنصاري، أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه راجع: الاستيعاب ابن عبد البر ج 4 ص 1701 - 1705.

(3) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال حديث 2692، ج 3 ص 62، وأحمد في مسنده حديث 62402، ج 2 ص 276.

(4) عون المعبود - العظيم آبادي ج 7 ص 254.

(5) المغني لابن قدامة ج 11 ص 281، شرح صحيح مسلم - النووي ج 5 ص 239.

(6) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية وطء الحبالى من السبايا حديث 1564 ج 4 ص 133، وأبو داود في سننه كتاب النكاح، باب في وطء السبايا حديث 2157، ج 2 ص 248.

عاشراً: حق الأسير في الحفاظ على وحدة أسرته: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أُتِيَ بِالسَّبْيِ أَعْطَى أَهْلَ الْبَيْتِ جَمِيعًا كَرَاهِيَةً أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ»⁽¹⁾.

الحادي عشر: حرية الأسير في ممارسة الشعائر الدينية: لذلك قرر الفقهاء أن للأسير حقه في ممارسة عبادته، وشعائر دينه، دون التدخل في معتقده، أو محاولة إكراهه على الإسلام⁽²⁾.

الثاني عشر: تبعية الأسير: إنَّ الشريعة الإسلامية كما حرّمت أن يقتل المسلم أسيره دون الرجوع إلى الإمام؛ فإنّها حرّمت أن يقتل المسلم أسير غيره، والدليل على ذلك ما رواه سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَتَعَاطَى⁽³⁾ أَحَدُكُمْ مِنْ أُسِيرِ أَخِيهِ فَيَقْتُلُهُ»⁽⁴⁾.

وجه الدلالة: إنَّ هذا الحديث ينهى أن يأخذ الجندي المسلم أسير أخيه الذي أسره فيقتله؛ لأن الحكم في الأسرى ليس للأسر؛ وإنما للإمام.

المطلب الثالث: السبي والرق وموقف الإسلام منهما

أما سبي النساء والأطفال، فعلى الرغم من إباحته في الإسلام، إلا أن المسلمين لم يبدو حرصاً على سبي النساء والأطفال واستعبادهم وإنما سجل التاريخ مواقف عديدة تخلى فيها المسلمون عن سباياهم من النساء والأطفال، فقد تخلى المسلمون في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن سبايا بني المصطلق وسبايا هوازن.

فأما سبايا وأسرى بني المصطلق، فعن ابن إسحاق: حدثنا محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية في سهم رجل، فكاتبته، وكانت حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه؛ فكرهتها - يعني لحسنها -

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب التجارات، باب النهي عن التفريق بين السبي حديث 2248 ج 2 ص 755.

(2) مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام زيد الزيد ص 38، وأسرى الحرب الدواعي الإنسانية والأبعاد القانونية محمد العلي ص 72.

(3) يَتَعَاطَى: أي يتناول، تقول العرب: تعاطى الشيء أي: تناوله، وخاض فيه، والمراد هنا: لا يعمد أحدهم إلى الأسير الذي أسره أخوه فيقتله. لسان العرب - ابن منظور ج 15 ص 70.

(4) أخرجه أحمد في مسنده حديث: 20214، ج 5 ص 18.

فقلت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبته، فأعني. فقال: أو خير من ذلك: أؤدي عنك، وأتزوجك؟ فقلت: نعم، ففعل، فبلغ الناس، فقالوا: أصهار رسول الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها⁽¹⁾.

وأما سببا هوازن، فعن عروة بن الزبير أن مروان والمصور بن مخزومة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقاه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بكم وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا فإننا نختار سبينا فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائنين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبتنا ذلك يا رسول الله...⁽²⁾.

وجاء الإسلام وأبواب الرق مفتوحة، فأغلقها إلا باب الأسر في الحرب، وفتح أبواب العتق للتخلص من الرق في كفارة الظهار، واليمين، والفطر في رمضان بالجماع وغيرها، وشاع في الإسلام تكريم السببا على نحو لم يعرف له التاريخ نظيرا. فلقد حض على تحريرهن وإطلاق سراحهن في جملة الأمر بفك الرقاب في الإسلام قال تعالى: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ [البلد 13]، لاسيما وقد جعل الإسلام عتق الرقاب كفارة لبعض الخطايا: قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْعِوَثِ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة 89]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة 3]

(1) السنن الكبرى للبيهقي باب من يجري عليه الرق حديث: 18535.

(2) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب إذا وهب شيئا لوكيل، حديث: 2308.

ولم يقتصر الإسلام في وصايته بالسبايا على مجرد العتق بل دعا إلى تعليمهن وتأديهن وعتقهن ثم الزواج منهن، وضاعف الأجر في ذلك ترغيباً للمسلمين في الإقدام على ذلك. فعن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ...»⁽¹⁾.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارُ، أَوْ لِمَسَّتْكَ النَّارُ»⁽²⁾.

ولقد كان النبي محمد ﷺ القدوة والمثل الأعلى في ذلك، فكثيرا ما أعتق السبايا وتزوجهن حتى أن بعض أمهات المؤمنين كن أساسا من السبايا، فكانت السيدة جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي والسيدة ریحانة بنت زيد من سبايا الحرب، فأعتقهن النبي ﷺ وتزوجهن فصرن من أمهات المؤمنين. ولم تقتصر السبايا اللاتي أعتقهن النبي محمد ﷺ على أمهات المؤمنين فقط بل إن عتق بعض أمهات المؤمنين قد أدى إلى عتق سبايا أقوامهن. ولقد أعتق النبي سبايا لم يتزوج منهن مثل السيدة سفانة بنت حاتم الطائي وسبايا هوازن حتى لا يظن ظان أن النبي ﷺ إنما كان يعتق السبايا فقط ليتزوج منهن.

ولقد عدد الإسلام أسباب عتق السبايا، ففي حين أنه يدعو إلى عتقهن بدون مقابل وتعليمهن وتأديهن وعتقهن ثم الزواج منهن، يدعو الإسلام أيضا من تعذر عليه ذلك إلى مكاتبهن أي تقاضي مقابل مادي منهن مقابل عتقهن: «وَلَيْسَتْ عَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» [النور: 33].

كما أن الإسلام أوجب استبراء السبايا وعدم إتيانهن إلا بعد استبرائهن بحیضة واحدة وجعل في إنجاب السبية من سيدها عتقها، فتسمى أم ولد فلا يجوز لسيدها التصرف فيها بعد أن أنجبت له طفلا.

(1) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب العبد إذا أحسن عباد ربه، حديث: 2547.

(2) أخرجه مسلم: باب صحبة المماليك، حديث: 4398.

فإن لم يتيسر العتق ولا المكاتبه ولا الإنجاب للسبايا والإماء، فلقد ضمن الإسلام للسبايا والإماء حياة طيبة بفضل المكتسبات التي كفلها لهن. فعلى سبيل المثال، حض الإسلام على الزواج من السبايا والإماء المؤمنات عند عدم القدرة على الزواج من الحرائر المؤمنات وأوجب لهن ما يجب للحرائر من لزوم المهر والحصول على إذن الأهل أي الأولياء قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء 25]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ وَلَكُمْ مُمِئَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة 221].

ولقد دعا الإسلام إلى الإحسان إلى السبايا، ومن أشكال الإحسان إليهن والتي خصها الإسلام بالذكر النهي عن إكراههن على البغاء للانتفاع منهن، والدعوة إلى تزويجهن إن لم يرغب أولياؤهن في الزواج منهن قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا قَبَائِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: 33]

ورأفة بالسبايا والإماء، جعل الإسلام عقوبتهن نصف عقوبة الحرائر في حالة ارتكابهن ما يوجب الحد شرعاً قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَكْبَرَ بَغْيٍ فَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء 25].

وبعد أن رأينا من خلال هذا البحث موقف اليهودية والنصرانية من الأسرى والسبي يتجلى لنا موقف الإسلام هذا الدين الخاتم والشرعية السمحة التي نزلت من عند الله تعالى كاملة غير منقوصة، تحقق مصالح العباد في معاشهم ومآلهم، شاملة لحياة الإنسان كلها، يبين حدود علاقته بربه، ثم بنفسه، والناس من حوله، بل وينظم حياة الدولة المسلمة، داخلياً وخارجياً، حال السلم والحرب.

وثبت من خلال هذه الدراسة الحرص على حماية الأسرى والسبي في الشريعة الإسلامية، خاصة في ضوء كثرة الحروب المعاصرة، والانتهاكات المتكررة لحقوق الأسرى من قبل أذعياء الحضارة والديمقراطية.

والحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله أولاً وآخراً

أهم النتائج

أولاً: نتائج البحث:

1. كثرة نصوص الإحراق-في سياق القتل-والاستئصال، والإفناء، والإهلاك، والتحریم-بمعنى الإبادة-، والتحطيم، والصلب، والتعليق، والتدمير، والتقطيع، والسحق، والتمزيق، والذبح والدم، والجيف، والجثة والجثث، والتخريب في سياق القتل في الكتاب المقدس بخلاف القرآن الكريم.
2. عدم تفريق اليهودية والنصرانية بين المقاتلين في الحرب وغير المقاتلين والأمر بإبادة الجميع.
3. عدم مراعاة حقوق المرأة والطفل والفلاحين، وأصحاب الصوامع، والطاعنين في السن وذلك في الحروب في اليهودية والنصرانية.
4. الأسرى في الفقه الإسلامي هم: الرجال المقاتلون من الكفار إذا وقعوا في قبضة المسلمين أحياء.
5. من المبادئ التي يقوم عليها القانون الدولي الإنساني في الإسلام: مبدأ التفريق بين المقاتل وغير المقاتل، ومبدأ صيانة الحقوق الأساسية، والحرمة الشخصية، ومبدأ التزام الضرورة الحربية.
6. أثبتت الشريعة الإسلامية للأسرى الحربيين حقوقاً أهمها: حق الأسير في المعاملة الحسنة، وحقه في الطعام، والشراب، والملبس، والمأوى، والرعاية الصحية، وحقه في محادثته والرد عليه، والاتصال بأهله، واحترام شرفه وسمعته، وحقه في المحافظة على وحدة أسرته، وحرية ممارسته لشعائره، وحرمة تعذيبه.
7. إنَّ الأسير في ذمة أسر له عليه، ولا حق له في التصرف فيه، إذ الحق للإمام في أن يحدد مصير الأسرى، وفق مصلحة المسلمين، وتعاليم الإسلام القويم.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. عقد مؤتمرات علمية، تتناول القانون الدولي الإنساني بالبحث، والدراسة، خاصة ما يستجد من أحكام قانونية، ومعاهدات دولية، وبيان حكم الشريعة الإسلامية فيها.
2. إبراز حقوق الأسرى زمن الحرب، وتوضيح موقف الشريعة الإسلامية السمحاء منهم وقت الحرب، ونطاق الحماية التي يتمتعون بها.
3. الاتفاق على آلية عمل، وخطة استراتيجية، ترعاها المنظمات الإسلامية الكبرى؛ كرابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وغيرها، لنشر أحكام القانون الدولي الإنساني الإسلامي، وبيان عظمة التشريع الإسلامي في هذا الجانب؛ لنزيل عن أعين العالم أجمع تلك الغشاوة التي وضعها أعداء الأمة، وندفع اتهامهم الإسلام ظلماً وزوراً بالوحشية والإرهاب والتطرف.

4. لزوم توجيه وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة؛ للدفاع الأسرى المسلمين في سجون الأعداء على اختلافها وكثرتها وبشاعتها.

أهم المراجع:

القرآن الكريم.

1. آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 4، 1412هـ.
2. أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية د. عبد اللطيف عامر دون طبعة أو تاريخ نشر.
3. الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1398 هـ، 1978 م.
4. أسرى الحرب الدواعي الإنسانية والأبعاد القانونية - محمد العلي دون طبعة أو تاريخ نشر.
5. أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة: د. عثمان جمعة ضميرية، دار المعالي، عمان، الأردن، ط 1، 1419 هـ، 1999 م.
6. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 1 1994 م.
7. جريدة الرياض، العدد 13836، 12/5/2006 م، صحيفة الوطن الصادرة بتاريخ 25/4/2006 م.
8. الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
9. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر.
10. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر.
11. السنن القويم في تفسير العهد القديم وليم مارش، ط / مجمع الكنائس في الشرق بيروت.

12. سير أعلام النبلاء: أبو عبد محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 9، 1413 هـ.
 13. شرح صحيح مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط 1، 1420 هـ، 1999 م.
 14. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان ط 3، 1407 هـ.
 15. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر.
 16. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر.
 17. الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد) ط/دار الكتاب المقدس بدون تاريخ نشر.
 18. الكنز الجليل في تفسير الإنجيل للقس وليم إدي، ط/ مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت.
 19. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ نشر.
 20. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي ط/ مكتبة الإيمان - القاهرة.
 21. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - ط/ مكتبة لبنان 1998م.
 22. مذابح الاسري المصريين في حرب 1967م
- <http://grouphistorians.com/%D%A%D%AF%D%A%D%A%>
23. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، دون تاريخ نشر.
 24. المسيحية والعنف للقس وليم مارش، مقال على موقع نداء الرجاء <https://call-of-hope.com/new/site/pages/itemFormat.php?lang=ara§ion=articles&item=&format=html>

25. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الحديث، القاهرة، مصر ط 1، 1421 هـ، 2000 م.
26. المغازي: أبو عبد الله بن عمر الأسلمي الواقدي، عالم الكتب، لبنان، دون طبعة وتاريخ نشر.
27. مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام: د. زيد بن عيد الكريم الزيد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 1425 هـ.
28. موسوعة الفقه الإسلامي محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية الطبعة: الأولى، 1430 هـ.
29. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، ط/ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1423 هـ.